فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "علمتني ذنوبي"

المقدمة

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أ. حسام الغزالي

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-126281.htm

السلام عليكم

الحمد لله حَمْدًا كثيرًا طيّبًا مُبَارَكًا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء الله من شيءٍ بعد، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد.

فاللهم لك الحمد نبدأ سلسلة جديدة على غرفة الهداية، سلسلة علَّمتني ذنوبي، إن شاء الله نجتهد في هذه السلسلة التي قبل أن نبدأ في الكلام نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعلها ابتغاء مرضاته لا رياء فيها ولا سُمْعة مِن حَظّ نَفْس ولا اتّباع هوى، وأن يجعلها لوجهه خالصة وإنْ اشتهت النفس وسَعَت الجوارح لغير ذلك إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يضع لها القبول وأن يغيّر بها الأناهذ والعقول والقلوب بإذن الله عزَّ وجلّ في رحلة السَّيْر إلى الله –سبحانه وتعالى–.

كُنَّا متحيّرين بقالنا فترة في هذه السلسلة بينها وبين أكتر من درس أو أكتر مِن سلسلة كأفكار تربويَّة أو دعويَّة أو إيمانيَّة نستطيع إنّ احنا من خلالها شقّ استقامات السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–، ولكن للأسف أو سبحان الله ربنا – سبحانه وتعالى– قدَّر إنّ نتيجة أسئلة كتير بتيجي على الفيس أو على الأكونت الشخصي بتاع الواحد أو اتّصالات تليفونيّة في مسألة الذنوب والمعاصي والوقوع في الذنب، مسألة الذنب المتكرر، ومسألة احنا مش قادرين نكمّل، واحنا حاسّين بالنفاق، واحنا ما ننفعش في الطريق لربنا –سبحانه وتعالى–، لحدّ ما جاتلي مكالمة مِن أحد الشَّباب بعدها قرَّرنا إنّ احنا إن شاء الله بعد الاستخارة طبعًا الاستئذان من باب الأدب مع الله –عزَّ وجلّ– إن احنا نعمل سلسلة "علَّمتني ذنوبي".

مُلَخَّص المكالمة شاب بيكلّمني فكان بيتكلم في نقطة إنّ هو كل فترة بيقع في ذنب معيّن وفي وسط المكالمة الشَّاب بدأ ينهار مِن البكاء، إنّ هو حاسس إنّ عمله بيُحبط كل ما بيكوّن أو بيجمّع رصيد مِن الحسنات يأتي هذا الذَّنْب فيمحو هذه الحسنات، مِن وجهة نظر هذا الشاب، وطبعًا بيستدلّ بالحديث أو الشيطان بيلبّس عليه بحديث: "إني لأعلم أقوامًا تأتي يوم القيامة.." حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لأَعلَمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يومَ القيامةِ بأعمالٍ أمثالِ جبالِ تِهامةَ بيضاءَ، فيجعلها اللهُ هباءً منثورًا" صححه الألباني.

فبعد ما خلَّص المكالمة بتاعته أنا مشغول طول المكالمة طَب هو فين السؤال أو فين المشكلة، هل المشكلة إنّ إنت حاسس إنّ انت هيُحبط عملك، ولّا المشكلة إنّ انت بتقع في الذَّنْب ولّا المشكلة في إيه؟

المشكلة الأساسيّة يا جماعة في نظرتنا في التَّعامُل مع الذنوب والمعاصي، مشكلتنا الأساسية في النَّظرة الملائكيَّة اللي احنا بننظر بيها لنفسنا في رحلتنا لربنا –سبحانه وتعالى–.

تعالوا نبدأ الحكاية من البداية مِن بداية الخَلْق، بداية الحكاية من الأول خالص عندما خلَق الله –تبارك وتعالى– سيّدنا آدم في صحيح مسلم مِن حديث سيدنا أنس مرفوع يقول: "لَمَّا صوَّر اللهُ آدمَ في الجنَّةِ تركه ما شاء اللهُ أن يتركَه. فجعل إبليسُ يَطيفُ به. ينظُرُ ما هو. فلمَّا رآه أجوفَ عرف أنَّه خلَق خلقًا لا يتمالكُ" الحديث في صحيح مسلم.

الحديث في رواية أخرى أيضًا صححها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة يقول: "لَمَّا صوَّر اللهُ تبارك وتعالَى آدمَ عليه السَّلامُ تركه، فجعل إبليسُ يطوفُ به ينظُرُ إليه، فلمَّا رآه أجوفَ، قال:.." الشاهد: ".. ظفرتُ به خلقٌ لا يتمالكُ" صحَّح الألباني إسناده على شرط مسلم.

إنّ الأصل يا جماعة في خَلْق الإنسان في خلق بني آدم إنه خَلْقٌ لا يتمالك. انتوا عارفين يعني إيه يا جماعة؟ اللي يرجع بقى لشرح الإمام النووي في صحيح مسلم على هذا الحديث يشوف أو يقرأ كلام غاية في العقلانيّة، في تصوُّر رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–، أو في تَصَوُّر تكوين الإنسان، أو التَّصَوُّر البشري للإنسان، يقول معنى إنّه لا يتمالك أيْ لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، ما بيقدرش يعمل كده، وقيل: لا يملك دفع الوساوس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد بجنس بني آدم.

علشان كده النبي –صلى الله عليه وسلم– أصَّل أصْل تربوي غاية في الأهمية، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ.." بصُّوا القاعدة التربويَّة دي في رحلة السَّيْر إلى الله "كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ.." أو "كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ" وبقية الحديث أو التَّصْحيح للمفهوم علشان لا يُفْهَم بالخطأ ".. وخيرُ الخطَّائينَ التوَّابونَ" حسنه الألباني. إنّ الأصل إنّ انت بتُخطئ، الأصل إنّ انت بتقع في ذنوب ومعاصي وغفلة وبُعد عن الله –عزَّ وجلّ–، ولكن زَيّ ما دا أصل فيه أصل آخر لا بُدّ أن يكون مُلازم له وهو: إنّ إنت زَيّ ما بتقع في الذنوب والمعاصي لا بُدّ إنّ إنت تتوب، علشان كده بيقولوا إنّ مِن أقدار الله الكونيّة الوقوع في الذَّنْب، نركّز يا جماعة في الجملة دي، مِن أقدار الله الكونيَّة الوقوع في الذَّنْب، ومِن أقدار الله الشرعيَّة التَّوبة مِن الذَّنب بعد الوقوع فيه، معايا يا جماعة؟ مِن أقدار الله الكونيَّة الوقوع في الذَّنْب، وكما أنَّ مِن أقدار الله الكونيَّة الوقوع في الذّنوب والمعاصي فإنَّ مِن أقدار الله الشرعيَّة توبة العَبْد مِن الذَّنب بعد الوقوع فيه. كلام غاية في الأهمّيّة.

انتوا عارفين ليه الإنسان خَطَّاء؟ لأنه مخلوق ضعيف، النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: "كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ: التَّوَّابونَ"، ليه خَطَّاء جات صيغة مبالغة؟ لأنَّه مخلوق أصلًا ضعيف لا يتمالك.

قال ربي –عزَّ وجلّ–: "يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا" النساء:٢٦:٢٨.

الإمام السَّعْدي بيقول: يريد الله أنْ يُخَفِّف عنكم ودا من رحمة ربنا –سبحانه وتعالى– التَّامَّة وإحسانه الشَّامل بعباده المؤمنين أو الصالحين وعِلْمه وحِكْمته بضَعْف الإنسان مِن جميع الوجوه، سواء ضَعْف البنية، أو ضَعْف الإرادة، أو ضَعْف العزيمة، أو ضَعْف الإيمان، أو ضَعْف الصَّبْر، فيبقى فيه تخفيف عن هذا العَبْد في الأشياء اللي بيضعف فيها واللي ما بيقدرش إيمان العبد دا يطيق هذه الأعمال أو هذه التكاليف ويصبر ويقوى عليها. علشان كده يقول لك إنّ من أوجه الضَّعْف البشري في الآية لا بُدّ إنّ هي أو الأنسب ليها إنّ هي تُحْمَل على إطلاقها علشان تشمل الجوانب النفسيَّة والبدنيَّة والعقليَّة والعاطفيَّة والتركيبيَّة من جميع النَّواحي.

فالإنسان ضعيف النَّفْس بسبب نوازع الخير والشَّرّ اللي مخلوقة فيه، بجانب طبعًا الوساوس والأهواء اللي بيتعرّض لها يوميًّا بل وقتيًّا أو لحظيًّا. فتلاقيه ضعيف، مش قادر يقاوم الشهوات، مش قادر يصبر على الطاعة، مش قادر يترك المعصية، وهكذا.

علشان كده ربنا –سبحانه وتعالى– بعد كل هذه الأمور قال:

"الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا" الأنفال:٦٦. فجاء التَّخْفِيف بسبب الضَّعْف، علَّمتني ذنوبي أنّي بَشَرٌ مخلوقٌ ضعيف. ربّنا –سبحانه وتعالى– عليم حكيم يعلم ضَعْف الإنسان وهو اللي خلقه –سبحانه وتعالى–.

وعلشان كده النبي –صلى الله عليه وسلم– بيؤصّل أَصْل غاية في الخطورة، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما من عبد مؤمن.." خدوا بالكم يا جماعة من ألفاظ النبي –صلى الله عليه وسلم–، النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: ما من عبدٍ، النبي –صلى الله عليه وسلم– كان قادر إنه يقول: ما من عبد إلا وله ذنب، ولكن قال: "ما من عبدٍ مؤمنٍ إلَّا وله ذنبٌ، يعتادُهُ الفينَةَ بعدَ الفينَةِ، أوْ ذنبٌ هو مقيمٌ عليه لا يفارِقُهُ، حتى يفارِقَ الدنيا" صححه الألباني. سبحان الله، إيه دا؟ والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع. هو فيه إيه؟ طبيعي إنّ يبقى للعبد المؤمن؟ آه طبيعي إن يبقى ليه ذنب بيعتاده الفينة بعد الفينة.

يا جماعة احنا مش بنؤصّل –علشان بس أنا بتكلم مع ناس عاقلة– مش بنؤصّل لاستمراء المعصية، مش بنؤصّل للذنوب والمعاصي، مش بنؤصّل لإنّ احنا يلا بقى نسيب الدنيا ونقعد نُذنب ونعصي الله –عزَّ وجلّ–، أبدًا، مش دا هدف السلسلة، ولكن هدف السلسلة التحوُّل مِن النَّظْرَة السَّلْبِيَّة والمقامات السَّلْبِيَّة اللي بيقع فيها العبد السائر إلى الله –عزَّ وجلّ– بسبب الذنوب أو نظرته ورؤيته للتَّعامُل مع الذنوب والمعاصي إلى النَّظرة الإيجابية في رحلة الانطلاق والسَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–، إزَّاي نتحوّل بالذنوب دي إنّ احنا نُسَارِع إلى الله –سبحانه وتعالى–، وإنّ احنا ترمومتر الإيمان يزداد بسبب الذنب، وهيبان بعد كده إن شاء الله معانا في المرات القادمة بإذن الله عزَّ وجلّ.

علَّمتني ذنوبي أنّي بَشَر، أنت بشر مش ملاك، هتفضل لحدّ امتى تُذنب وتقع في هذه الذنوب والمعاصي إلّا أن يشاء الله عزّ وجلّ؟ لحدّ ما نفارق الدنيا، لحدّ أنْ يأذن الله –سبحانه وتعالى– بقَبْض أرواحنا. ولكن محتاجين إنّ احنا نتوب من هذه الذنوب والمعاصي وننظر نَظْرَة أُخْرى.

احنا النَّهارده هنوصّل لقضيَّة بشريّة الإنسان مش ملائكيّة الإنسان، أنت مش ملاك أنت بشر.

علشان كده النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول تكملة في الحديث: "إنَّ المؤمِنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا، توَّابًا، نَسِيًّا، إذا ذُكِّرَ ذكَرَ" صححه الألباني. خُدوا بالكم مِن صِيَغ المبالغة يا جماعة، خُلِقَ مُفَتَّنًا تَوَّابًا نَسِيًّا، كثير الوقوع في الفِتَن، كثير التَّوْبَة بسبب كل ما بيقع في الفتن كل ما بيقوم وبيقاوم وبيتوب إلى الله وبيرجع إلى الله –سبحانه وتعالى–، وبينسى كثير النّسيان، إذا ذُكِّر ذَكَر، لما حدّ بيذكّره بالتّوبة، لما حدّ بيذكّره بالطاعة، لما حدّ بيذكّره بالإنابة، لما حدّ بيذكّره بالأوبة، لما حدّ بيذكره بالله –عزّ وجلّ– بيَذْكُر، وبيرجع إلى الله –عزّ وجلّ–.

علشان كده مِن الأخطاء اللي بتتسرَّب لينا بشَكْل غير مُباشِر مِن الثَّقَافَة الصوفيَّة المأخوذة من رهبانيَّة النَّصَارى، أو الأمور البوذيَّة اللي بيقوم بها عُبَّاد بوذا، وصّلتنا لهذا الأمر اللي هي النَّظْرَة الملائكيّة للتَّعامُلات البشريَّة إزَّاي إنت بَشَر مش ملاك، لو ما بتُذنبش وبتقع في ذنوب ومعاصي يبقى إنت مكانك مش هنا إنت مكانك فوق مع الملائكة في الجنَّة، إنّ نظرتنا بهذه الطريقة نتيجة طلب الوصول لحالة السَّلامة الكاملة من الذنوب، ودا طبعًا لا يُمكن يحصل لإنّ جِنْس الذَّنْب لا يَسْلَم منه بَشَر، وكَوْن المؤمن بيجعل أو العبد السَّائر إلى الله –عزَّ وجلّ– بيجعل دي غاية بيطلبها فهو يطلب المستحيل؛ لأنَّك بَشَر.

غير إنّ دا مش بس بيوقّعه في قصة اليأس والقنوط، لا، بيوقّعه كمان في قصة التقصير في الطاعة، وبيحصل خَلَل في التَّعامُل مع الله –عزَّ وجلّ–؛ بسبب هذه النَّظْرَة، زَيّ ما قُلنا إنّ ربّنا –سبحانه وتعالى– لَمَّا خَلَق الإنسان في هذه الحياة الدنيا جعل له أَجَل بيكتسب فيه الصالحات والأعمال الصالحة التي تأتي بالحسنات، فاللي بيأتي على الله –عزَّ وجلّ– بميزان حسنات راجح دا اللي بيبقى ناجي يوم القيامة بإذن الله عزَّ وجلّ، بغضّ النَّظَر عن اللي وقع فيه مِن الذنوب والمعاصي لو كان مُوَحِّد لله.

لإنه هييجي بعد كده معانا في التكملة إنّ احنا ازَّاي اللي هي علَّمتني ذنوبي استثمار الذنوب، مش عايز بس نحرق المقامات اللي هنعدّي بيها في التَّعامُل مع الذنب، إن شاء الله هنتحول من النظرة دي النظرة السلبيَّة للتعامل مع الذنوب والمعاصي للنظرة الإيجابيّة في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–.

علشان كده المُتَأَمِّل والمُتَدَبِّر في قضيَّة النصوص هيُدْرِك إنّ إزَّاي مُراد ربّنا –سبحانه وتعالى– مِن العبد مش بس مجرَّد السَّلامة مِن المخالفة، ركّزوا يا جماعة في الكلام دا لإنّه فعلا غاية في الأهمّيّة، ليس مُرَاد الله مِن العبد مُجَرَّد السَّلامة مِن المخالفة أو السَّلامة مِن الذنوب والمعاصي، ولكن المُرَاد هو بقاء العلاقة بين العَبْد وبين الله –تبارك وتعالى–.

بمعنى إنّ العبد بيطيع ربّنا –سبحانه وتعالى– فيُؤْجَر، ويُذْنِب فيستغفر ويتوب ويرجع، ويُنْعِمُ الله –تبارك وتعالى– على العَبْد السَّائر إليه في رحلة السَّيْر إلى الله فيشكر فيزداد العطاء، ويقتر عليه فيدعوه ويطلب منه أنْ يُفَرِّج عنه، بل

وأحيانًا يُضَيّق الله –تبارك وتعالى– على العَبْد أكثر وأكثر حتى يتضرَّع إلى الله –عزَّ وجلّ– فيسمع الله –تبارك وتعالى– صَوْت هذا العَبْد فيُجيب هذا الدُّعاء.

علشان كده وَرَد في بعض الآثار أنَّ العَبْد الصَّالح بيَغفل أو بينسى الله –تبارك وتعالى– فيُضَيّق الله عليه بالبلاء حتى يسمع صوته بالدعاء والالتجاء إليه –سبحانه وتعالى–، يا الله على جمال المعاملة الربَّانيَّة من الله سبحانه وتعالى للعَبْد. علّمتني ذنوبي أنّي بَشَر، وَرَد إنّ العبد المؤمن لما بيُكْثِر من الذِّكْر ولا يستغفر فيُقَدِّر الله عليه الذَّنْب ليسمع صوته في الاستغفار، أحيانًا دي بتبقى من معاملة ربّنا –سبحانه وتعالى– للعَبْد.

وعلشان كده وَرَد أيضًا عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من حديث سيدنا أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "والذي نفسي بيدِه! لو لم تذنبوا لذهب اللهُ بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون، فيستغفرون اللهَ، فيغفرُ لهم" صحيح مسلم. ياه، شوف النبي –صلى الله عليه وسلم– بيُقْسِم فيقول: "والذي نفسي بيدِه! لو لم تذنبوا.." لو ما وقعتوش في ذنوب ومعاصي، ربنا –سبحانه وتعالى– ".. لذهب اللهُ بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون..."، ليه؟ فيستغفرون اللهَ، فيغفرُ لهم".

علشان كده مِن الحماقة في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ– أنْ يشغل العبد نفسه بالتخلُّص مِن ذنب معيَّن لدرجة إنُّه يفوته كثير مِن القُرُبات والأعمال الصالحة اللي بيها لو كان استثمر هذه الأعمال الصالحة وتلك القربات يمحو أثر هذا الذنب الذي وقع فيه.

أو حتى يقع في يأس وقنوط بسبب عدم هذه النظرة الإيجابيَّة في التَّعامُل مع الذَّنْب فبالتَّالي يقع فيما هو أعظم من الذَّنب اللي بيؤثَّر فعلًا على النَّفْس في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–، بل بترجّح كفة ميزان الخسارة على الفلاح بسبب الغفلة واليأس والقنوط ورؤية الذنب المعين دا فبالتالي بيكبر في نَفْس العبد السَّائر إلى الله –عزَّ وجلّ– هذا الذَّنْب أمام رحمة الله –سبحانه وتعالى– فيقع في أشياء لا ترضي الله، ودا طبعًا بسبب التفكير العاطفي أو الخيالي أو السَّعْي لبلوغ ما لم يُطلب من العبد السائر إلى الله –عزَّ وجلّ– بلوغه.

أو حتى أحيانًا دا بيحصل إنّ احنا دايمًا خايفين نقع في ذنوب ومعاصي دا شعور كويّس، وكويس إنّ إنت ما تُذْنبش، وكويّس إنّ إنت ما تقعش في ذَنْب أو في معصية، بس لو وقعت حِرْصَك على الكمال في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ– والسَّلامة مِن الذنوب دا شيء مُحَال، إلَّا أنْ يشاء الله –عزَّ وجلّ–، ينبغي إنّ إنت ما تشغلش نفسك بيه وما تشغليش نفسك بيه علشان ما تقعيش في فتور ويأس، لإنّ لو إنت ظنّيت إنّ دا غاية التَّدَيُّن أو هدف الالتزام بالدّين إنْ صَحَّ التعبير، لا، أبدًا، النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: "سدِّدوا وقارِبوا وأبشِروا" صحيح البخاري ومسلم. وربّنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" البقرة:٢٨٦.

"فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" التغابن:١٦. دا فيه معنى لطيف بيقطع الطَّمَع على المؤمن إنه يبلغ حقيقة التَّدَيُّن والقيام بحقوق الله –تبارك وتعالى–، بل المطالبة إنه يسدّد إنّ العبد يسدّد ويقارب قَدْر المُسْتَطَاع وكُلَّما كان سَهْم العَبْد أقرب للإصابة والقُرْب والفلاح فهو أقرب للسَّلامة بإذن الله عزَّ وجلّ.

علشان كده محتاجين إنّ احنا نوطَّن نفسنا في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ– مش على السلامة من الوقوع في الذنوب والمعاصي، لا لا أبدًا، نوطَّن نفسنا على التوبة من الذنب، كل ما نقع في ذنب كل ما نتطلَّع للقيام من هذا الذنب، والتوبة من هذا الذنب، واستثمار هذا الذنب في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–. أو على الأقل خالص إنّ أنا أُضْعِف أَثَر هذا الذنب على النفس، أيوا نُضعف أثر هذا الذنب على النفس، بإيه؟ بكثرة الطاعات، بالتوبة، بالرجوع إلى الله –عز وجل–، بالاستغفار، ودا هيجيلنا بعد كده في استثمار الذنوب.

كده بنقول إن التوبة لا يقوم بوجهها شيء من الذنوب والخطايا مهما حصل إذا صَدَق العبد فيها، يعني محتاجين إنّ احنا نصدُق في التوبة علشان تجيب المراد بتاعها.
وكما قيل: إذا صدق العبد فيها وذاق قلبه حرقة الندم وألم الحسرة من زلَّة الذنب وقعت التوبة، وكُلّ ما تقع في ذنب ومعصية كل ما تكرر التوبة وتعاهد نفسك على دا.
وكل ما عرف إبليس زَيّ ما بيقولوا إذا عرف إبليس منك كثرة التوبة وتعاهدها قنت وأيس منك هييأس منك.

علشان كده جاء في الحديث القدسي في تحدّي إبليسي فظيع يقول إبليس –عليه من الله ما يستحقّ–: "وعِزَّتِكَ يا رَبِّ لا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبادَكَ ما دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ في أَجْسادِهِمْ، فقال الرَّبُّ: وعزَّتِي وجَلالِي لا أَزَالُ أَغْفِرُ لهُمْ ما اسْتَغْفَرُونِي" حسنه الألباني.

علشان كده النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: "إنَّ عبدًا أصاب ذنبًا، وربما قال: أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ، وربما قال: أصبتُ، فاغفِرْ لي، فقال ربُّه: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء اللهُ ثم أصاب ذنبًا، أو أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ –أو أصبتُ– آخر فاغفِرْه؟ فقال: أَعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء اللهُ، ثم أذنب ذنبًا، وربما قال: أصاب ذنبًا، قال: قال: ربِّ أصبتُ –أو قال: أذنبتُ– آخرَ فاغفِرْه لي، فقال: أعَلِمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفر الذَّنبَ ويأخذُ به؟ غفرتُ لعبدي، ثلاثًا، فليعملْ ما شاء" صحيح البخاري.

أيْ معنى الحديث ببساطة إنّ كل ما العبد بيقع في ذنب ومعصية ولكن بيتوب من هذا الذنب والمعصية ويستغفر الله –تبارك وتعالى– فالله –سبحانه وتعالى– يغفر له، ما دام على هذه الحالة وهذه الديمومة فهو بإذن الله سبحانه وتعالى يكون ناجٍ، ويكون على الصراط، وهو أقرب إلى السَّلامة بإذن الله عزَّ وجلّ.

علشان كده في المستدرك أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– جاءه رجل فقال: "يا رسولَ اللهِ، أحَدُنا يُذْنِبُ، قال: يُكْتَبُ عليه، قال: ثمَّ يستغفِرُ منه ويتوبُ، قال: يُغْفَرُ له ويتابُ عليه، قال: فيعودُ فيُذْنِبُ، قال: فيُكْتَبُ عليه، قال: ثمَّ يستغفِرُ منه ويتوبُ، قال: يُغْفَرُ له ويتابُ عليه، ولا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا" حسن إسناده الهيثمي. ولا يملّ الله –تبارك وتعالى– حتى تملّوا –سبحانه وتعالى–.

وجاء في الأثر عن عليّ –رضي الله عنه– أنه قال: "خياركم كل مُفَتَّن توَّاب" قيل: فإنْ عاد؟ قال عليّ: "يستغفر الله ويتوب"، قيل: فإنْ عاد؟ قال: "يستغفر الله ويتوب"، قيل: فإنْ عاد؟ قال: "يستغفر الله ويتوب"، قيل: حتَّى متى؟ قال: "حتى يكون الشيطان هو المحسور".

وقيل للحسن: "ألا يستحي أحدنا مِن ربّه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود؟"، فقال: "وَدَّ الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملُّوا مِن الاستغفار".

لذا يُقال إنّ ليس مِن شرط الولاية أو القُرْب مِن الله –عزَّ وجلّ– أو حتى التَّدَيُّن إنْ صحَّ التعبير السلامة من الوقوع في الذنوب والمعاصي، ولكن هو عدم الإصرار عليها والتوبة منها.

علَّمتني ذنوبي أنّي بشر، محتاجين إنّ احنا نعيد مرة أخرى نظرتنا ورؤيتنا للتعامُل مع الذنوب والمعاصي حتى ننتقل من النظرة السلبية التشاؤميّة ومن اليأس والقنوط اللي احنا بنبقى موجودين فيه بسبب الرؤية السلبيَّة لتعامُلاتنا مع الذنوب والمعاصي أو وقوعنا في الذنوب والمعاصي للنَّظرة بقى الإيجابية في رحلة السَّيْر إلى الله –عزَّ وجلّ–، ونعرف إنّ احنا بشر، خُلقنا لنُذنب، خُلقنا ضعفاء، خُلقنا حتى نحقق مراد الله –عز وجل– بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى في هذه الحياة الدنيا وعلى هذه الأرض.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36